

بدون "هاتف أحمر".. كيف يمضي الصراع الجديد بين واشنطن وبكين؟



الأحد 24 مايو 2026 02:00 م

كتب: حسن أوريد

حسن أوريد

أكاديمي وسياسي مغربي، وأستاذ للعلوم السياسية بجامعة محمد الخامس بالرباط

يتحدد عالم اليوم والغد بالعلاقات الثنائية ما بين الولايات المتحدة، والصين، مثلما تحدد العالم في القرن الثامن عشر بالتنافس والنزاع ما بين فرنسا، وبريطانيا، ثم ما بين بريطانيا، وألمانيا في القرن التاسع عشر، وما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في القرن العشرين.

انتهت الأحادية القطبية التي كانت الولايات المتحدة تقودها، ولا تعددية قطبية في الأفق، والإطار الناظم للعلاقات الدولية هو الثنائية القطبية ما بين الولايات المتحدة، والصين.

ولذلك استأثرت القمة الأمريكية الصينية التي عُقدت من 13-14 مايو بالاهتمام، وتابع العالم فصولها في أدق تجلياتها، وتبارى المحللون حول تداعياتها.

وهي بلا مرء القمة التي تكرر الثنائية القطبية، وتتجاوز ما كان أسماه الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما بـ"G2"، أو (الكبيرين) ليميزها عن مجموعة السبع الكبار المعروفة بـ"G7".

ليست الولايات المتحدة، والصين القوتين الاقتصاديتين فحسب، بل هما واضعتا النواميس.

هذه أول قمة تنعقد في أجواء الحرب الباردة الجديدة، وبهذا كانت تُنعت العلاقات الثنائية بين البلدين لكن اللافت أن المصطلح لم يرد في التعليق على القمة، وأن ما ورد هو مصطلح فخ "توسيديد" كما جاء في كلمة الرئيس الصيني شي جين بينغ أثناء القمة.

الحرب الباردة، للتذكير- هي كما قال الفيلسوف الفرنسي ريمون أرون- حرب مستحيلة، وسلم مستبعد، تخللها، كما يعرف مؤرخو العلاقات الدولية، ومضات من هدنة، وتعایش سلمي، ونزع السلاح، وهاتف أحمر.

كان مدار الحرب الباردة هو توازن الرعب، لكننا في سياق مختلف مداره رعب عدم التوازن، وسياسي بلا قواعد سارية، ينتظم حول فخ "توسيديد"، وهو السياق الذي يجعل الحرب واردة والسلم ممكنا.

كثيرون من المحللين يعتبرون أن ما يُوَطر العلاقات بين البلدين، هو براداييم الحرب الباردة، وأننا في حرب باردة جديدة، كما يذهب الإستراتيجي البريطاني روبين نيبلت في كتاب يحمل العنوان نفسه يرى أن الحرب الباردة الثانية مختلفة عن الحرب الباردة الأولى، لأن الولايات المتحدة اليوم ليست هي كما كانت من خمسين سنة خلت، والصين ليست الاتحاد السوفياتي.

للصين قوة عسكرية مشفوعة بقوة ناعمة، والحرب الباردة الأولى كانت تنبني على قطيعة بين القوتين، في حين يتداخل اقتصاد العملاقين ويتربط.

لسنا في القاعدة الصفرية للحرب الباردة، ولا في القاعدة الذهبية للعولمة "رابح- رابح"، ولكن لقاعدة مضمرة، هي أن فك الارتباط سيفضي إلى وضع "خاسر- خاسر".

لكن الأهم من ذلك كله، وهو أن الحرب الباردة الأولى، كانت أيديولوجية، أما الثانية، فليست كذلك، رغم أنه قد يُنظر إليها بصفاتها تلك [تقرأ، من منظور غربي، باعتبارها تصادما ما بين محور الديمقراطيات، في مواجهة محور السلطويات؛ أي شكل النظام، وليس محتواه.

كسبت الولايات المتحدة الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفياتي؛ بسبب القدرات العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية، ولم يكن للاتحاد السوفياتي إلا قوته العسكرية الضاربة.

أما الصين، فهي قوة عسكرية ناهضة، يمكن أن تتدارك القوة العسكرية الأمريكية، وهي قوة اقتصادية وتكنولوجية، تظاهي الولايات المتحدة في أوجهٍ، وتتجاوزها في أخرى، وهي لا تعدم جاذبية ثقافية أو قوة ناعمة.

القوتان مدعوتان للتعايش، وفق مصطلح يعود للحرب الباردة، ولكن ميزته أنه تعايش تنافسي، كما نعته وزير الخارجية السابق أنتوني بلينكن.

كانت لقاءات القمة الثنائية ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في إطار الحرب الباردة ذات طبيعة إستراتيجية، وكان واضحا من خلال تركيبة الوفد الأمريكي للقمة الأخيرة التي انعقدت في بكين، أن الولايات المتحدة تريد أن تبقى في دائرة قضايا اقتصادية وتجارية وتقنية وتكنولوجية، وتناهى عن القضايا الإستراتيجية.

أما الصين فأسبغت على القمة بعدا إستراتيجيا، على اعتبار أن التعاون بين القوتين سينعكس إيجابا على العالم، وأن النزاعات إذا ما نشبت، فسترتدّ سلبا عليه، مع التذكير بالأهمية الإستراتيجية لملف تايوان بالنسبة لبكين، والتحذير من أي توظيف له، مما من شأنه أن يفتح باب النزاع والصراع.

رسمت الصين، كما في كل مقتضى إستراتيجي خطأ أحمرًا أما الولايات المتحدة، فقد التزمت صمتا إستراتيجيا حول الملف.

ملف تايوان، بدقته، وتعقده، هو ما يجعل العلاقات الثنائية تندرج في إطار فخ "توسيديد"، أي الحرب واردة، والسلم ممكنًا لسنا حتما في برادايام الحرب الباردة، حيث الحرب مستحيلة، والسلم غير ممكن.

قد تكون ساحة المعركة، كما يقول الإستراتيجي البريطاني رويين نيبلت، الجنوب الشامل ومن يستطيع أن يستميله، وهي المعركة التي بدأت منذ سنين، من خلال برامج اقتصادية طموحة، كما طريق الحرير، وبدائل من قبل الولايات المتحدة.

يستند بعض الدارسين بالمؤرخ البريطاني بول كينيدي حول نشوء الحضارات وأفولها، في قراءة الولايات المتحدة، وخطر التمدد، لكن نبوءة بول كينيدي التي قدمها في منتصف ثمانينيات القرن الماضي أخفقت في شأن الولايات المتحدة، ولم يُدرج في تحليله عنصرا كان حاسما؛ هو القوة الناعمة للولايات المتحدة.

يحسن- ربما- قراءة الإستراتيجي الصيني يان شوتنغ حول الزعامة وقيام القوى العظمى لا ترتبط الزعامة بحتمية وفق هذا الإستراتيجي الصيني، ولكن بجاذبية كما لدى الكواكب وقوة معنوية ومصداقية.

ولكن العلاقات الدولية ليست مجرد ملفات، ومعطيات موضوعية، بل كذلك قيادات وخيارات ورؤية، ولا يمكن أن نستنهين بدور القيادات.

يلو لبعض الغربيين أن يقارنوا ما بين الزعيم الصيني شي جين بينغ، والرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت الذي أدخل الولايات المتحدة في نهاية القرن التاسع عشر ساحة الكبار، ورسم توجهات إستراتيجية، وقرأ العالم قراءة جيوسياسية.

وفي المقابل لا يتورع بعض الغربيين أن يجعلوا من ترمب، كورباتشف، يحمل معول إعادة هيكلة (بيرسترويك) الولايات المتحدة [قد تفيد المقارنات للتقريب، ولكن كل مقارنة مضللة؛ لأن السياقات تختلف.

مهما كان نزوع الرئيس الأمريكي للصفقات، فهو لا يمكنه ألا يأخذ بالبعد الإستراتيجي في العلاقات الثنائية الأمريكية الصينية، ومهما غلب البعد الإستراتيجي لدى الرئيس الصيني، فهو لا يستطيع ألا يأخذ بالسياقات والإكراهات.

لسنا في حرب باردة جديدة، ويبقى الرهان هو عدم الوقوع في فخ "توسيديد". وحتى صاحب النظرية كرام ألسيون لا يرى في التنافس بين قوة مهيمنة وقوة ناهضة، حتمية [وكل القوى التي تعاقبت على التاريخ وأخضعها ألسيون للدراسة لم تكن تمتلك السلاح النووي، ولم يكن العالم بالتشعب والتعدد الذي هو عليه.

والراجح أن العالم دخل مرحلة من تنافس العظميين ستمتد في الزمن، وتأخذ أشكالا عدة، وترسم معالم عالم جديد، بظهور قوى، واضمحلال أخرى، ورسم قواعد جديدة للعلاقات الدولية.